1050



صاحب الجلالة يوجه خطابا إلى شعبه
بعد الرجوع من نيروبي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

«الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور» صدق الله العظيم، نعم شعبي العزيز، ان الله اذهب عنا الحزن ؛ فما هو ذلك الحزن ياترى ؟ أهو حزن الشك لما صرنا الى اليقين ؟ اهو حزن الضلال الذي استبدل به فرح النجاح والتوفيق المبين ؟ لا. لا هذا ولا ذاك، بل كنا دائما انت وانا مدنيين وعسكريين، مومنين بحقنا، عارفين به كما تجب المعرفة، عالمين كما يستحسن العلم بحقوقنا وصدق قضيتنا، الا ان جيراننا وإخواناً وأشقاء في قارتنا الافريقية، كانوا هم في شك فيما يخص حقنا، وكانوا على غير يقين فيما يخص مشروعية مطالبنا، لكن بالإرادة والايمان القوي وعزم لا ينثني اظهرته شعبي العزيز، عرفوا الآن ان مطالبنا هي مطالب مشروعة، وان حقوقنا هي حقوق تاريخية ثابتة، وهكذا جعلنا ذلك الحزن الذي كنا نحس به وتلك المرارة التي كنا نعيش فيها لجهل الاكثرية ولتجاهل الأقلية من الافارقة، نتساءل : هل المغرب اصبح غير معروف الى حد أن تهضم حقوقه ؟ هل المغرب أصبح غير معترف له بالجميل والخدمات التي اداها للدول الافريقية.

هذه التساؤلات كانت تجعلنا نحس بغربة في حظيرة اسرتنا الافريقية، ولكن الله سبحانه وتعالى ابى الا ان يتم نوره ويحق حقه ويبطل الباطل ؛ وهكذا خطوة خطوة ؛ وسنة بعد سنة ؛ ومؤتمر بعد مؤتمر ؛ اصبح حق المغرب يظهر شيئاً فشيئاً جلياً للعيون وجليا للتحليلات وجليا للباحثين.

شعبي العزيز

قبل سفري الأول إلى نيروبي في شهر يونيو، قلت لك : ان المغرب سيقوم بمبادرة ستجعله يخرج من قفص الاتهام إلى منصة محاكمة المبطلين ومحاكمة الظالمين، وهذا فعلا ما كان، سافرنا إلى نيروبي وقلنا ما قلنا وحللنا ما حللنا، فخرجنا من قفص الاتهام الى منصة القول والاثبات والمبادرة، وكان كل هذا — ولله الحمد — مكللا بالنجاح، أولا : لأننا لم نبادر ببهتان ولا باطل، وثانيا : احساس الجميع لا احساس قارة، بل احساس البشرية كلها، ان المتكلم في نيروبي كان يتكلم باسم شعب كله حاضره ومستقبله، لا يتكلم باسم شعب بالباطل، بل يتكلم باسم حقه وحقوقه ؛ وكما قال جمال الدين الافغاني : «العاقل لا يظلم، فكيف اذا كان امة»، فعلا نحن امة قلنا ما يجب ان يقال، وصرحنا بما يجب ان يصرح به، ثم بعد ذلك شعبي العزيز، جاء خطاب 20 غشت، وكانت مناسبة لي لأقول لك ان مؤتمر نيروبي الثاني لا يقل ولن يقل اهمية عن نيروبي الاول، ذلك لأن المؤتمر الاول كان لوضع اسس واثبات مبادىء، أما المؤتمر الثاني واللقاء الثاني الذي رجعنا منه امس فكان مؤتمراً وتجمعاً لوضع الخطة التطبيقية التنفيذية، تلك التي سنسير عليها في الاشهر المقبلة. وككل وفد، فكرنا قبل السفر في مشروع للمقررات التي سيخرج بها تجمعنا هذا وصغناها صياغة اعتدنا انها قصيرة ولكن شاملة، وجعلناها رهن اشارة لجنة المتابعة، وحينما ارادت تلك اللجنة بعض التوضيحات والايضاحات منا اعطينا ما اظن انه شفي غليلها، وقد سمعت تلك الاسئلة وتلك الاجوبة في ابانها، واعتقد شخصياً انها كانت تلم بالموضوع الماماً شاملاً، ثم طلعت علينا قرارات نيروبي، فمن يراها كما هي مكتوبة بالانجليزية — لأنه نص

رسمي ـــ ويقرأها كما صيغت في أول نظرة يعتقد انها لا تجيب الى رغباتنا والى ما نعتبره كحد ادنى لاحترام سيادتنا وكرامتنا، ولكن حينما نأخذ بنودها واحداً واحداً وروحها نرى بعد قراءتها ان منطوقها ومفهومها يحترمان اولا تمام الاحترام كرامتنا وسيادتنا، وثانيا ان مفهومها ومنطوقها كل منهما يرمي الى احقاق الحق وابطال الباطل، وما الحق الا بجانبنا، وما الباطل الا بجانب خصومنا، ولنحلل قليلا انا واياكم هذا القرار.

كنا قلنا في قرارنا او مشروع القرار، اولا : اننا نقبل الاستفتاء، النقطة الثانية كنا نقول : ان الاستفتاء نحن الذين سنضعه، ثالثا : كنا قابلين لايقاف اطلاق النار، وأخيراً كنا نقول ان هيأة الامم المتحدة اذا ارادت المجموعة الافريقية ان تشاركها في هذا الامر فاننا لا نرى مانعاً ونعتبر مشاركتها اعانة تقنية للمجموعة الافريقية لما لهيأة الامم المتحدة اولا من تجربة في هذا المجال، وثانيا من امكانات ووسائل مادية وبشرية لا تتوفر عليها المجموعة الافريقية، كما تطرقنا الى المستفتين من هم الذين يمكنهم ان يصوتوا وعلى اي اساس سيقع الارتكاز في تسجيل المصوتين، وتطرقنا ايضاً الى السؤال الذي سيلقى وربطناه بفكرة البيعة وأواصرها حتى نبقى نساير تماماً ـــ وأقرب ما يمكن ـــ الاسباب التي دفعتنا الى تنظيم المسيرة، واطلاق المسيرة لم يقع الا بعد ما أصدرت المحكمة الدولية قرارها، وفي قرار المحكمة الدولية هناك أواصر بيعة، واواصر البيعة لا تنفصم كيفما كانت قانونيا، سواء في الدين الاسلامي او في القانون الدولي، اواصر البيعة لا تنفصم ابداً بين الراعي والرعية، ولهذا قلنا سنعمل في سؤالنا : هل تؤكدون بيعة الرضوان التي هي في عنقكم لصاحب الجلالة ؟ فاذا استثنينا النقطة الاخيرة وهو كيف سيوضع السؤال على مغاربة الصحراء ؟ هل يؤكدون مغربيتهم او سيرجعون في كلمتهم وعهدهم وبيعتهم ؟ هذا هو نص الصيغة الذي لم يؤخذ به في صيغتنا، اذن ماذا جاء في القرار ؟ جاء فيه ان لجنة التنفيذ هي التي ستنظم وتسهر على الاستفتاء، هذا في البند الاول. ونرجع الى البند الثالث في نفس القرار الذي يقول ان هذه اللجنة ستكون لديها نواة ادارية ستتعامل باتفاق وتنسيق مع الادارة الموجودة في المنطقة، والمنطقة اعم من لفظ الدولة، اذن لا نجد تناقضاً بين الفقرة الاولى والفقرة الاخيرة، ليس هناك تناقض بين كونهم سينظمون ويسهرون بالنواة الادارية على الاستفتاء، ثم يأتي ذكر الادارة المغربية، بل اعتقد ان هناك تكاملا. وأراد الحكماء الافارقة ان يظهروا انه رغم وجود تلك النواة التنفيذية للاستفتاء وحتى يمكن لهم ان يضمنوا امام اي خصم نزاهة الاستفتاء، ذلك الاستفتاء لا نجريه في المريخ او في زحل، اننا نجريه في المغرب الذي له ادارة وقوانين، والدليل على هذا ان القوانين التي ستطبق بالنسبة لهذه النواة الادارية، هي قوانين مغربية، بمعنى اذا كانوا ذاهبين من هنا الى العيون فلن يذهبوا على يسار الطريق او على اليمين، واذا كانوا يشتغلون فلن يلزموا الناس ان يشتغلوا معهم يوم الاحد ويعطلوهم عطلة يوم الخميس، لأن هذه ادارة ونظام اداري، كما سيتعاملون بالعملة المغربية من وصولهم الى ذهابهم. والبريد الذي سيستعملونه هو البريد المغربي، واخيراً سيستعملون الاساس الاداري للدولة المغربية.

اذن، عوض ان يرى الانسان تناقضا بين الفصل الاول والفصل الأخير عليه في الحقيقة ان يرى تكاملا، وعلى كل حال اثبات ما هو ثابت.

ثانيا : لا ذكر لخروج الجيش والادارة المغربية من الصحراء، وهذا هو الشيء الذي كان يطلبه خصومنا معتقدين اننا أولا سنقبله، ومعتقدين ان بهتاناً كهذا وترهات كهذه سيقبلها اناس كيفما كان تحيزهم، فهم يعرفون شيئاً ما ما يجري به العمل وما يقبل وما لا يقبل دولياً، فجيشنا سيبقى، وادارتنا ستبقى، وهناك نقطتان مهمتان سنذكرهما لم تردا في مشروع القرار الذي عرضناه بالصيغة التي جاءت في قرار اجتماع نيروبي. أولا : فيما يخص التصويت جاء ان كل واحد ولد بالصحراء واراد ان يصوت، فرغم توفره على بطاقة التصويت ورغم



ثبوت انه صحراوي الاصل ابا عن جد لا بد له أن يرجع الى مكان ولادته ليصوت، بهذه الطريقة تنتهي خرافة اللاجئين وعدد اللاجئين الموجودين اما في الجزائر او في موريتانيا، معنى هذا ان الذي ولد في الجديرية او بئر انزارن لابد ان يرجع لبئر انزارن او الجديرية او الحكونية ليثبت صحراويته، وعندئذ يمكنه ان يصوت، ولكن في مكان ولادته ؛ فهذه النقطة القانونية لم ترد والحق يقال في مشروعنا.

وهذه حقيقة اراد السادة اعضاء لجنة التنفيذ ــ جزاهم الله خيراً ــ، ان يوثقوها بكيفية دقيقة، ونحن بقدر ما وثقوا نكون مطمئنين.

النقطة الثانية وهي مهمة كذلك، انه جاء في مشروع قرارنا اننا نأخذ كمنطلق للبث في صحراوية الانسان او عدم صحراويته الاحصاء الذي قامت به اسبانيا في عام 1974 على علاته، فاذا بالمجتمعين في نيروبي السادة اعضاء لجنة المتابعة ــ جزاهم الله مرة اخرى خيراً ــ لم يكتفوا بأخذ ذلك الاحصاء كأساس، بل أضافوا إليه ان مسألة اللاجئين **لاينظر فيهافقط** بالنسبة للصحراويين الذين التجأوا إلى الجزائر وموريتانيا، بل ينظر **كذلك إلى الصحراويين الذين لم يسجلوا سنة 1974 والذين فروا من الصحراء ايام الاضطهاد الاسباني ما بين سنة 1965 وبين سنة 1966، وهذه اذن ميزة اخرى امتاز بها القرار الذي صدر عن اجتماع نيروبي الاخير.**

وآخر نقطة اعتبرها شخصياً ربحاً نهائياً وكسبا، هي انه لم يعد ممكناً ان يخطر ببال اي احد ان الصحراء مجزأة الى جزئين : وادي الذهب، والساقية الحمراء. ولهذا جاء في القرار ان هذا الاستفتاء سيجري على الارض الصحراوية المعروفة في الخريطة والتي هي من وثائق هيأة الامم المتحدة والتي تبتديء من منطلق المسيرة الى الكويرة.

وهكذا شعبي العزيز، ترى ان روح ومنطوق مشروع مقرراتنا اخذ به من اوله الى آخره، الا انه لم يؤخذ به على الترتيب الذي جئنا به ولا بالتعبير الذي جئنا به، وزيدت فيه بعض البنود الدقيقة جداً حتى لا يمكن لأي احد ان ينفلت هكذا او هكذا، تلك البنود هي في صالح المحق، ولكن هي طعنة في ظهر الذي يمتطي صباح مساء البهتان والباطل، واذا كانت هناك نقطة لم يقع فيها الانسجام تماماً، فهي نقطة خاصة بالسؤال الذي سيطرح على المغاربة الصحراويين في يوم الاستفتاء.

وحينما فتحنا كلمتنا هاته شعبي العزيز، بحمد الله على أن أذهب عنا الحزن نرى الآن أين كنا وإلى أين وصلنا ؟ ففي فريتاون الاول والثاني كان المغرب مطالباً بسحب جيشه وادارته، وكانوا يطالبون بتقسيم الصحراء : الساقية الحمراء يريدون لها شكلا، والتيرس الغربي او وادي الذهب يريدون له شكلا آخر، الى غير ذلك من الاوهام وغشاوة الجهل اوالتجاهل التي كانت تعيش فيها افريقيا، ولم يكونوا في افريقيا يعرفون هل هؤلاء الصحراويون هم مليون او سبعمائة الف او مئة وخمسون الفاً، ومن يصوت وكيف يصوت، وهل يمكن لنا ان نصوت في باريس او في فريتاون أو في مدغشقر، هذه كلها مسائل كانت حقيقة تشكل مشكلة بالنسبة لنا ليس فقط كمغاربة في الصحراء، لأن الصحراء جزء من بلدنا لا يمكننا اطلاقاً التفريط فيه ابداً، ولكن كانت ايضاً مشكلة بالنسبة لنا، لأننا نريد ان يطوى هذا الملف نهائياً، لأن الحديث اليوم عن مليون صحراوي او سبعمئة الف صحراوي خرافته انتهت، معروف ان الاسبانيين وزعوا ما بين 15 الفاً و 20 الف بطاقة، وقسموها على الجزائر وموريتانيا لتضعا فيها الاسماء التي تريدان، ولكن كيفما كان الحال وكيفما كان الاحصاء فلا نعتقد انه سيتجاوز مئة ألف او مئة وعشرة آلاف من الناس على اكثر تقدير، ولم يعد سبعمائة الف ولا مليون كما كان سينزل



علينا كصخرة على الرؤوس، لأنهم كانوا يريدون ان تصبغ الصحراء بغير صبغتها المغربية، فعلا رجعنا من بعيد، وفعلا خرجنا من بئر عميق جداً ولله الحمد.

والآن وقد احق الله الحق وابطل الباطل، علينا أن نظهر للمجموعة الافريقية وللمجموعة العالمية ان المغرب حين يقبل التحدي لا يقبله الا اذا كان على يقين من حقه، واذا قبل ذلك التحدي فالمغرب فيه من النزاهة والاستقامة والاطمئنان واحترام ماضيه ومستقبله ما يجعله رياضياً روحياً واخلاقياً، وما ينزهه عن كل عبث.

وهذا ما قلته للرئيس أراب موي رئيس كينيا قبل مغادرتي والذي سأؤكده له في رسالة رسمية ابعث بنسخة منها للأمانة العامة لمنظمة الوحدة الافريقية ولجميع السادة المحترمين اعضاء لجنة التنفيذ.

وهذه الرسالة فيها ان المغرب ملكاً وحكومة وادارة وشعباً سوف يضع رهن اشارة افريقيا ولجنة التنفيذ ادارته المركزية والمحلية ووسائله الامنية وجميع ما لديه من امكانات لتقوم المجموعة الافريقية ولجنة التنفيذ بالخصوص على احسن وجه بالمامورية التي انيطت بها، وحتى نطوي هذا الملف علينا في الحقيقة ان لا نتركه للأجيال المقبلة، بل علينا في السنة المقبلة — ان شاء الله — ان يكون هذا الملف قد طوي نهائياً، ولكن من الآن شعبي العزيز اريد ان أوصيك توصية : المشكل ليس هو حل المشكل، المشكل هو الروح التي ستسود عند حل المشكل وبعده، اننا نريد ان نقول : نريد ان نحل هذا المشكل بروح النظر الى المستقبل لا بعاطفة النكاية والتشفي، فإذا كانت هناك جماعة تحب تغليط نفسها، وحاولت وستحاول لبعض الشهور التضليل فعلينا أن نقول لها ان الدول والأمم الأصيلة التي تستحق ان تسمي نفسها دولة لا يمكن ان تعيش في مستقبلها على الضغينة والحقد والنكاية، **وأقول بكيفية خاصة لجيراننا الجزائريين إذا أردتم ان تكونوا في مستوى بلد له مليون شهيد، وجعل من معالم طريقه الحرب الضروس التي خاضها ضد الفرنسيين وانتصر فيها، وإذا اردتم ان تكونوا ابناء أولئك الشهداء والمقاومين فعليكم أن تنظروا مثلنا للمستقبل وان تنظروا اليه بدون نكاية ولا احساس من المؤاخدة ولا أمل في الانتقام، الدول والشعوب هي التي تنظر الى المستقبل والتي تبني لتعيش لا تبني لتبقى دائما تبكي على الاطلال ولو كانت تلك الاطلال احلاما واهية باطلة.**

وأملي ان يجد حل هذا المشكل الحقل اللازم له والمناخ الذي يستحقه في مجموعتنا المغربية العربية الكبرى حتى يمكن لكل بلد من بلاد المغرب العربي الكبير ان يأتي بنصيب صحرائه. لماذا نريد من الخليج الى المحيط الأطلسي ان تأخذ كل الدول في هذه المنطقة طرفاً من صحرائها الا المغرب فلا تكون له صحراؤه ؟ اعتقد ان هذا حكم جائر وقسمة ضيزي، فالسعودية التي على الخليج لها صحراؤها، ومصر لها صحراؤها، وليبيا لها صحراؤها، وتونس لها صحراؤها، والجزائر على كل حال لها أكثر من صحرائها ونحن لانحسدها على ذلك، الا المغرب ابوا ان تكون له صحراؤه، هذا في الحقيقة شيء مدهش ولكن كما قلت : اعتقد ان تكون المراحل التي ستهيىء للاستفتاء والتي ستهيمن على الاستفتاء والتي ستتلو عواقب الاستفتاء مراحل نستعملها جميعاً نحن الاخوان في المغرب العربي الكبير، وبالاخص المغرب والجزائر، لمحو ما مضى وحفظ ما يستقبل.

هذه شعبي العزيز، كلمتي اليك اقولها بفرح ولكن فرح عميق، عميق وجدي، الفرح يقتضي وجهين : إما الرقص بالفرح والضحك بالفرح، واما الانكباب على ما يجب ان يعمل، والاحساس بالفرح والاعتزاز به، ولكن كذلك الاحساس بخطورة هذا الفرح، فرحنا خطير وليس بمعنى الخطورة، فرحنا خطير لأنه جسيم فرحنا فرح تاريخي لأن الملف إذا سارت الأمور على ما هي عليه فانه لن يفتح أمام الوحدة الافريقية ولا امام هيأة الامم المتحدة ولا امام اي منتدى دولي كان، وهذا شيء يقتضي الحمد لله والتسبيح له، ويقتضي



الفرح العميق، بل الفرح المسؤول : فلنفرح جميعاً فرح المسؤول الذي يكيف ويقيم ما بيده، ولذا عند رجوعنا لم نرد ان نصل الى بلدنا دون ان نتوقف بمكة المكرمة ودون ان نطوف بها، ودون ان نصلي فيها شكراً لله، ودون ان نحمده سبحانه وتعالى في بيته المحرم، ودون ان نقرأ جميعاً «وقضى بينهم بالحق، وقيل الحمد رب العالمين».

صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله.

السبت 28 شوال 1401 — 29 غشت 1981